



عروض كتب ودراسات

ما التالي لبريطانيا
في الشرق الأوسط ؟

محمد ثابت حسنين
باحث في العلاقات الدولية

اسم الكتاب: عرض كتاب: ما التالي لبريطانيا في الشرق الأوسط ؟
الأمن والتجارة والسياسة الخارجية بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي
المؤلف : عدد من المحللين السياسيين مثل كريستوفر فيليبس، مايكل ستيفنز،
محرران: ومساهمة كلاً من روزماري هوليس، مايكل كلارك، إيان بلاك، بيل
بارك، سنام وكيل، ولويس كيتل، جيمس لينش، ديفيد باتر، جاك واتلينج،
توبياس بورك، إيمان البدوي.

الناشر: آي بي تورييس

تاريخ الصدور: سبتمبر ٢٠٢١.

تأتي هذه المراجعة لكتاب متعلق بحدث له أثر جلل على منطقة الشرق
الأوسط وهو خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، ويحاول مؤلفو الكتاب
تقديم تحليل شامل للعديد من القضايا التي تعصف بالمنطقة لمحاولة تقديم
تصور مستقبلي لما ستكون عليه المنطقة مع دخول المملكة المتحدة فترة
من الاستبطان العام المكثف في أعقاب خروجها من الاتحاد الأوروبي، يتناول
هذا الكتاب أحد الأسئلة الرئيسية الناشئة عن العملية المثيرة للانقسام: ما هو
مكان بريطانيا في العالم ؟ ونظراً لكون الشرق الأوسط أحد أكثر المناطق التي
شاركت فيها المملكة المتحدة تاريخياً، يقيم الكتاب دوافع نجاحات السياسة



الخارجية وإخفاقاتها ويسأل عما إذا كانت هناك طريقة لتنشيط النفوذ البريطاني في المنطقة، وإذا كان هذا مرغوباً فيه.

يحلل الكتاب القيم والمخاوف التجارية والأمنية التي تحرك السياسة الخارجية للمملكة المتحدة، ويشتمل على فصول منفصلة عن القوى الإقليمية غير العربية - إسرائيل وتركيا وإيران - بالإضافة إلى فصول عن عدد من دول ومناطق الشرق الأوسط العربية بما في ذلك الخليج والعراق وسوريا والشام وذلك من خلال تحليلات لكبار المتخصصين المشاركين في كتابته حيث يشرح كل منهم ويعيد تقييم التأثير الغربي المتراجع وعدم الاستقرار المستمر في المنطقة وما يعنيه هذا بالنسبة لأولويات المملكة المتحدة واستراتيجيتها تجاه الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. ويعد من أهم الكتب التي صدرت مؤخراً وتركز على السياسة الخارجية لبريطانيا تجاه الشرق الأوسط.

قدم مؤلفو الكتاب تحليلتهم وتصوراتهم لما ستكون عليه منطقة الشرق الأوسط عقب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، ومن ثم انخراطها بشكل أو بآخر في العديد من قضايا منطقة مليئة بالملفات المعقدة، ولم يغفل المؤلفون في كل مناسبة عن تقديم البيئة التاريخية للعلاقات فيما بين بريطانيا وكل دولة من دول الشرق، بما يمثل إسهاماً في فهم طبيعة العلاقات البريطانية-الشرق أوسطية، ومستقبلها في العقد القادم.

في بداية الكتاب تم التأكيد على أن إعادة تقييم السياسة البريطانية في الشرق الأوسط كانت ضرورياً من خلال إعادة صياغة مجموعة العلاقات الإقليمية المتنوعة لبريطانيا بطريقة أكثر ملاءمة لعالم اليوم والابتعاد عن الموروثات الاستعمارية في الماضي. كذلك الانخراط من خلال القوة الناعمة والمبادرات التجارية مع الدول التي ستستفيد من المشاركة البريطانية، كما أن زيادة المرونة والقدرة على التكيف سيساعد على تخفيف حدة المشاكل الناجمة عن التعامل مع الأحداث الأخيرة المتسارعة في منطقة الشرق الأوسط. سيكون



هناك دائماً أولئك الذين يجادلون بأن المملكة المتحدة يجب أن تفعل المزيد، أو أننا يجب أن نفعل أقل؛ والذين يجادلون بأننا لا ينبغي أن نعمل مع الولايات المتحدة؛ أو أولئك الذين يجادلون بأننا يجب ألا نختلف في الرأي معهم. وهي الانتقادات التي يجب أن تتعامل معها أي سياسة بريطانية في أي بيئة سياسية صحية طبيعية، ويتألف الكتاب من أربعة أبواب، وكل باب يتكون من ثلاثة فصول؛ فيما عدا الباب الرابع والذي يأتي في أربعة فصول، وسنعرض لمراجعة لهم على النحو التالي:

الباب الأول: ما زال البحث جارياً عن دور المملكة المتحدة في الشرق الأوسط من شرق السويس إلى خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي: بريطانيا والشرق الأوسط منذ نهاية الإمبراطورية: كتب هذا الجزء «روزماري هوليس» عالمة سياسية بريطانية وأستاذة دراسات سياسة الشرق الأوسط في جامعة سيتي لندن حتى تقاعدها في عام ٢٠١٨.

تؤكد روزماري على البرجماتية البريطانية كسياسة بديلة عن المثالية، فبين عامي ١٩٤٥ و ١٩٧١ تحولت الهيمنة الإمبراطورية البريطانية السابقة في الشرق الأوسط إلى مجموعة من العلاقات الثنائية مع الدول الفردية، وانتقلت بريطانيا من قوة إمبراطورية عظمى إلى ما وصفه سياسي بريطاني بأنه «قوة كبرى من الدرجة الثانية». ثم تم تعديل الطموحات البريطانية في الشرق الأوسط منذ السبعينيات، حيث كان الهدف الرئيسي الذي استندت إليه الحكومة البريطانية مراراً وتكراراً هو الاستقرار الإقليمي، لصالح التجارة البريطانية والتدفق الحر للنفط إلى الاقتصادات البريطانية والغربية الأخرى. كما شاركت أيضاً مع الولايات المتحدة التزاماً بكبح نفوذ الاتحاد السوفيتي في المنطقة، وعندما انهار الأخير في النهاية وبرزت الولايات المتحدة كقوة عالمية مهيمنة إقليمية على الإقليم، طور البريطانيون دوراً متخصصاً تحت مظلة الولايات المتحدة. ومع ذلك، دفع تحالفها مع الولايات المتحدة البريطانيين إلى سلسلة من



التدخلات العسكرية إلى جانب الأمريكيين، لا سيما من ١٩٩١ عكس الغزو العراقي للكويت، وبعد ذلك، في أعقاب الهجمات على نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، في سياق إعلان واشنطن «الحرب على الإرهاب». فشلت التدخلات منذ أحداث (١١/٩) إلى حد كبير في تحقيق الاستقرار الإقليمي أو استقرار النظام. بدلاً من ذلك، أصبح الصراع والتحريض على التغيير أكثر انتشارًا، وأصبح التعامل مع تداعيات الإرهاب المستوحى من الإسلاميين في الداخل والخارج أمرًا ضروريًا للسياسة البريطانية المركزية.

تغيرت السياسة البريطانية تجاه الشرق الأوسط وفق عدة مراحل على النحو التالي: مرحلة سنوات الطفرة النفطية، مرحلة سنوات تاتشر، مرحلة موروثة حرب الخليج ١٩٩٠، مرحلة ظهور حزب العمل الجديد، مرحلة تعاطى بريطانيا مع ما يسمى ب «الربيع العربي».

مشهد السياسة الخارجية لبريطانيا في حقبة ما بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي: كتب هذا الجزء «مايكل كلارك» وهو المدير العام السابق للمعهد الملكي للخدمات المتحدة. وهو أستاذ زائر في كينجز كوليدج لندن، ومدير مشارك لمعهد الاستراتيجية والأمن بجامعة إكستر.

يرى كلارك أنه بغض النظر عن نهاية «المرحلة الانتقالية» لعام ٢٠٢٠، مع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، ستستغرق النتائج الاستراتيجية لقرار خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي عقدًا أو أكثر حتى تتضح. سوف يستغرق الأمر ذلك الوقت حتى تثبت بريطانيا للعالم، ولنفسها، أن هناك مستقبلًا قابلاً للحياة لها كنوع فريد من القوة الأوروبية الكبرى والمعاصرة - متكاملة استراتيجيًا، ومنفصلة اقتصاديًا ولكنها مستقلة بحيوية. وتناول كلارك المشهد الاقتصادي العالمي ووجد أن بريطانيا كقوة معولمة أدارت اقتصادًا ليبراليًا جديدًا ناجحًا منذ منتصف الثمانينيات، ويتأثر مشهد السياسة الخارجية لبريطانيا بالتطور المنهجي للاقتصاد العالمي بقدر ما يتأثر بالتطورات الأقل منهجية بين



القوى العظمى. غيرت الأزمة المالية العالمية لعام ٢٠٠٨ و «الركود الكبير» الذي أعقبها معظم العقد السياق الاقتصادي المستقبلي لبريطانيا بطريقتين أساسيتين. فأولاً، عجلت بالدرجة التي تقود بها الاقتصادات الآسيوية الأسواق العالمية. ثانياً، ليس من الواضح ما إذا كانت الأزمة الاقتصادية قد انتهت أم لا. مهما كانت نتيجة السنوات الأولى لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، فقد عبرت البلاد في عام ٢٠١٦ وأحدثت تياراً خفياً هائلاً من التغيير فيما يتعلق بمستقبلها الأوروبي على كل المستويات التي يجب إدارتها خلال عشرينيات القرن الحالي.

لا تزال مميزة؟ المملكة المتحدة والولايات المتحدة في الشرق الأوسط: كتب هذا الجزء مايكل ستيفينز، ويرى أن العلاقة هي تحالف أكثر تعقيداً من منفعة نفعية أحادية الجانب للندن. وأشار أن العلاقة الخاصة تستند إلى أربع ركائز: الروابط الثقافية والإيمان بالمصير المشترك للشعوب الناطقة باللغة الإنجليزية، الاستعداد لشن حرب لدعم الأهداف المشتركة، التعاون في مجال الأسلحة النووية، علاقة استخباراتية عميقة.

استند دور بريطانيا العالمي منذ الحرب العالمية الثانية إلى علاقة قوية عبر الأطلسي، لكن هذا لم يكن ركيزتها الوحيدة التي برزت نتيجة سقوط بريطانيا وصعود واشنطن، فهناك أيضاً الافتراضات السياسية المشتركة في الشرق الأوسط حيث يرى الكاتب أن من المفارقات كلما وجدت الولايات المتحدة نفسها عائدة إلى الشرق الأوسط، كلما كان على خياراتها السياسية أن تأخذ في الاعتبار الشركاء العسكريين الآخرين، وعلى الأخص المملكة المتحدة وفرنسا. ثم انتقل لتحليل التوازن بين الولايات المتحدة وأوروبا في عصر التنافس العالمي حيث خلص إلى القول إنه في السنوات القادمة قد تكون سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط مدفوعة بشكل أساسي بمنافسة واشنطن مع بكين، مضيفاً أن جائحة فيروس كورونا قد سرعت ما يبدو أنه يتشكل في



صورة حرب باردة بين الجانبين، وإذا اندلعت هذه الحرب، فستحتاج المملكة المتحدة إلى التفكير في كيفية بناء سياستها بالإشارة إلى الصراع. وخلص إلى أن منطقة الشرق الأوسط لا تزال غير مستقرة للغاية وستصبح أكثر من ذلك حيث تترك الآثار طويلة الأجل للفيروس التاجي آثارًا شديدة على الاقتصادات الضعيفة بالفعل في المنطقة، فإن إبطاء تراجع الولايات المتحدة، مع البحث عن مجموعات من الدول لسد الفجوات في القيادة الأمريكية، هو الموقف الأكثر فائدة الذي ستتخذه بريطانيا في السنوات المقبلة.

الباب الثاني: المبادئ والبراعماتية - أولويات المملكة المتحدة في الشرق الأوسط:

القيم: كتب هذا الجزء جيمس لينش هو المدير المؤسس لـ فير سكوير، وتناول من خلال ذلك القسم لحقوق الإنسان والقيم في السياسة الخارجية للمملكة المتحدة.

الأزدهار: كتب هذا الجزء «ديفيد باتر» محلل السياسة والاقتصاد والأعمال في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تناول خلال هذا القسم تجارة بريطانيا بالأرقام، ونقاط القوة البريطانية، ثم تحول للحديث عن مصر كهدف رئيسي، وكيف يمكن مزج الطموح بالواقعية، وخلص إلى ضرورة تبني استراتيجية التنويع.

الأمن: كتب هذا الجزء «لويز كيتل» أستاذة مساعدة في العلاقات الدولية بجامعة نوتنغهام، تناولت العلاقة بين خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي والملف الأمني من خلال مكافحة الإرهاب في العراق وسوريا، وأوضحت السياسات الناجحة والخيارات التي يجب تبنيها، وكيف يمكن تحقيق الاستقرار من خلال التركيز على ملف الهجرة وأسلحة الدمار الشامل عن طريق كبح جماح إيران، وخلصت إلى أن لدى المملكة المتحدة فرصة في الوقت المناسب لترسيخ وجودها الأمني في المنطقة حتى بعد خروج بريطانيا من الاتحاد



الأوروبي.

الباب الثالث: بريطانيا والقوى غير العربية:

تركيا: كتب هذا الجزء «بيل بارك» زميل أبحاث زائر في كينجز كوليدج، لندن، يرى «بيل» أن أي تعزيز للعلاقة بين المملكة المتحدة وتركيا بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، خاصة فيما يتعلق بالشرق الأوسط، لن يخلو من المشاكل.

إسرائيل: كتب هذا الجزء «إيان بلاك» زميل أول زائر في مركز الشرق الأوسط بجامعة لوس أنجلوس، يرى «إيان» أن المملكة المتحدة لديها مصلحة محددة ويمكن القول إنها واجب تمليه المسؤولية التاريخية. تم تسليط الضوء على ذلك في نوفمبر ٢٠١٧ عندما كانت الذكرى المئوية لوعده بلفور بمثابة تذكير بالمشاعر القوية والمثيرة للانقسام التي أثارها القضية والمطالبة بحقوق هؤلاء، الذين تم تعريفهم ذات مرة بشكل سيئ السمعة فقط على أنهم «مجتمعات غير يهودية» في فلسطين، لا يزال إرث وعواقب ثلاثة عقود من الحكم البريطاني يجتذب اهتمامًا لا نهائيًا أكثر من، على سبيل المثال، وجود فرنسا الأطول بكثير في الجزائر الاستعمارية. ومن ثم حث على تمسك بريطانيا بحل الدولتين.

إيران: كتب هذا الجزء سنام وكيل هي نائبة مدير برنامج الشرق الأوسط لشمال إفريقيا في تشاتام هاوس، ترى «سنام» أن هناك بالفعل قيود يجب مراعاتها. قبل كل شيء، من غير المرجح أن تكون المملكة المتحدة قادرة على بناء علاقة قوية مع جمهورية إيران الإسلامية على المدى القصير. علاوة على ذلك، ونتيجة للضغط الأقصى، اكتسب المحافظون الإيرانيون أرضية سياسية على حساب الإصلاحيين. سيؤدي الانتصار الرئاسي المحافظ في عام ٢٠٢١ إلى احتكار محافظ للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية في البلاد. من شأن هذه النتيجة أن تعزز نظرة إيران المقاومة للعالم وتشدّد لهجة ومضمون تأشيرة السياسة الإيرانية تجاه المجتمع الدولي. ومع ذلك، من أجل إنشاء «بريطانيا



العالمية» المزدهرة، يجب على المملكة المتحدة اتباع سياسة الانخراط مع طهران في القضايا ذات الاهتمام المشترك مثل الأمن الإقليمي ومكافحة الإرهاب والأمن النووي والاستثمار والحوكمة المحلية. وعلاوة على ذلك، يمكن أن يكون الاستقرار الإقليمي والتحديات الناشئة عن الإرهاب والتنمية والحوكمة وحقوق الإنسان مواضيع متسقة للمشاركة الإقليمية الأوسع نطاقا. يمكن أن توفر المناقشات الرائدة ورفع مستوى هذه القضايا للمملكة المتحدة منصة جديدة للقيام بدور أكبر في حل قضايا الأمن الإقليمي، مع تعزيز مصالحها الخاصة وقلب سنوات التاريخ المدفوع بالأزمات بين البلدين.

الباب الرابع: بريطانيا ودول الشرق الأوسط العربية:

سوريا والشام: كتب هذا الجزء «كريستوفر فيليبس» باحث في العلاقات الدولية في ماري كوين، جامعة لندن، يرى فيليبس «أنه مع اندلاع الحرب الأهلية في سوريا في عام ٢٠١١، زادت بريطانيا بشكل كبير من اهتمامها ونشاطها في بلاد الشام. دفع الصراع وعواقبه الإقليمية، ولا سيما أزمة اللاجئين وصعود داعش، المملكة المتحدة إلى زيادة الأموال والموارد والأفراد المكرسين للمنطقة بشكل كبير. ومع ذلك، فإن هذا الاهتمام المتزايد لم يترجم إلى تأثير متزايد. وتناول الكاتب عدة محاور على النحو التالي: أهداف عظيمة وقدرات محدودة ، الفشل في سوريا، الأردن ولبنان، التحديات المستقبلية.

العراق: كتب هذا الجزء «جاك واتلينج» زميل باحث في الحرب البرية في معهد رويال يوناييتد، تناول الكاتب المخاطر وعدم اليقين في العراق، ورأى أن وجود بريطانيا في العراق بمثابة ما وصفه قرن من التناقضات، وتطرق لمصالح بريطانيا الدائمة في العراق.

الخليج: كتب هذا الجزء «توبياس بورك» زميل مشارك في المعهد الملكي للخدمات المتحدة في لندن، و «مايكل ستيفنز» محلل السياسة الخارجية وخبير الأمن القومي من بريطانيا، تناول الكاتبان ما تم وصفه بالماضي:



تطور الاستمرارية؛ للحديث عن العلاقات التاريخية، وتناول العلاقات فيما بين المصالح المستمرة والحقائق المتغيرة، ثم ناقشا اللغز الاستراتيجي المتمثل في تغير سياسات ملوك وأمراء دول الخليج، وتطرقا لملف حقوق الإنسان في دول الخليج.

مصر: كتب هذا الجزء «إيمان البدوي» وهي رئيسة قسم الأبحاث في معهد توني بلير وزميلة الأكاديمية البريطانية في قسم الإستراتيجية الكبرى في دراسات الحرب في كينجز كوليدج لندن، تناولت الكاتبة أثار الاستعمار البريطاني لمصر وعرضت قضية كفاح الشعب المصري ضد هذا الاستعمار، ثم انتقلت لتحليل مرحلة أحداث ٢٠١١، و٢٠١٣ وتأثيرتهما على علاقة بريطانيا بمصر، وخلصت إلى أنه سيتعين على وضع سياسة لمصر النظر في القيود المفروضة على بريطانيا. إن الوضع الهامشي لبريطانيا اليوم يعني أنه لكي يكون لها تأثير على أي تغيير في مصر، ستحتاج إلى الانحياز بشكل وثيق مع شركاء الاتحاد الأوروبي، وخاصة فرنسا وألمانيا، والولايات المتحدة، ولكن أيضًا حلفاء مصر الإقليميين، مع مراعاة المصالح الجيوسياسية المتنافسة الأخرى - وهي الصين وروسيا. سيكون لصناديق المملكة المتحدة وحدها نفوذ هامشي للتنمية وأي شروط إذا تم تطبيقها على مصر. ولكن إذا تم نشرها بالتعاون مع أموال الاتحاد الأوروبي، فإنها ستبني مجالًا للتأثير والتأثر. يجب أن يشمل ذلك مجالات حقوق الإنسان والحريات السياسية ويمكن أن يشمل ذلك إذا كانت بريطانيا تأمل في تمثيل سياسة مشاركة قائمة على القيم، ولكن هناك المزيد من العمل الذي يتعين القيام به لوضع إطار متماسك ليس فقط للسياسة تجاه مصر، ولكن للتنقل تجاه الخصوصيات السياسية للمؤسسة المصرية. النقد ممكن، لكن يجب على بريطانيا أن تفعل ذلك بدرجة ما من التواضع مع الاعتراف بإرثها الصعب في مصر.

خلص المؤلفون لعدة نتائج على النحو التالي:



ستشكل أربع قوى عظمى مسار الشؤون العالمية: الولايات المتحدة والصين وروسيا والهند.

يجب على بريطانيا أن تخلق مساحة استراتيجية لنفسها بين هؤلاء اللاعبين الكبار، مع الالتزام بعلاقتها التقليدية مع الولايات المتحدة دون أن تكون خاضعة.

إن الشرق الأوسط مليء بالفرص والتحديات على حد سواء، ولكن الطبيعة غير المتوقعة للشؤون العالمية تجعل من الصعب التنبؤ بالاتجاهات المتوسطة والطويلة الأجل التي تؤثر على المنطقة.

ويجب على المملكة المتحدة أن تتعامل مع هذا التحول النشط بين الدول الإقليمية (خاصة تركيا وإيران والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وإسرائيل) وهم يتنافسون على موقف تجاه بعضهم البعض. تبعاً لكون بريطانيا قوة متوسطة يجب التخفيف من عبء الحاجة إلى المشاركة في كل قضية، طوال الوقت.

أخيراً، يجب على المملكة المتحدة متابعة مصالحها الأمنية بنفس التصميم على السنوات الماضية، لا سيما تجاه المنظمات الإرهابية الدولية مثل القاعدة وداعش إلى جانب عدد من الميليشيات المدعومة من إيران. أن وضع استراتيجية شاملة في منطقة معقدة ومتنوعة مثل الشرق الأوسط مهمة عقيمة.